شعرية البناء الفني واللغوي في رواية " الأسود يليق بك"

منال عطوي - جامعة المسيلة -

الملخص:

حققت الرواية انتشارا واسعا في عصرنا الحديث وبرزت بشكل كبير على الساحة الإبداعية والنقدية لتتربع على عرش الفنون الأدبية لقدرتها على تشكيل طريقة السرد والحكي، والرواية الجزائرية بصفة خاصة التي أصبحت حاليا تنطوي على نص سردي يستخدم آليات فنية تحمل دلالات جديدة، مما أكسبها شعرية سردية وجمالية أدبية مكنتها من الوصول إلى مصاف العالمية وذلك من خلال الارتقاء باللغة والأسلوب الروائي، لذلك سنقدم في هذا المقال عتبة نظرية وقراءة منهجية في التشكيل الفني واللغوي لرواية "الأسود يليق بك".

لقد استقطب النص السردي الروائي اهتمام القراء بمختلف مستوياتهم الثقافية والإيديولوجية، وخلق مساحة مقروئية واسعة، مما جذب النقد الأدبي وأغراه للنظر فيه قراءة وتحليلا وتأويلا، فظهرت العديد من الدراسات التي تهتم بالرواية من جميع جوانبها سواء كانت شكلية أو مضمونية .

فتربعت الروية على عرش الآداب العالمية وعلى قمة الفنون الأدبية في العالم العربي بعد أن كانت السيطرة للشعر العربي طوال أكثر من عشرة قرون ، وأصبحت من أبرز التعبيرات الفنية والجمالية التي توحي بنضج التجربة الإبداعية العربية، ومدى ارتباطها بالشخصية القومية والواقعية للمجتمع العربي، باعتبارها مرآة عاكسة لحياتهم وواقعهم، فهي باختصار "تعبير عن وعي فني متطور، وتجسيد فعلي لمفاهيم أدبية ونقدية جديدة تتصل بوظيفة الرواية وماهيتها وصلتها بالواقع وعلاقتها بالمتلقي، فهي بنية أدبية متميزة".[1]

وفي العصر الحديث تطورت الرواية كغيرها من الفنون الأدبية الأخرى في البناء الفني والأسلوبي لها، فغدت عالم إبداعي شديد التعقيد والتركيب، ومتداخل النصوص والأصول، يمتزج فيه الواقع بالخيال، والذاتي بالموضوعي، في قالب لغوي فني مختلف النسيج عن البناء التقليدي لهذا النوع "وبهذا تسعى الرواية الجديدة إلى تأسيس ذائقة أو وعي جمالي جديد....فتثير الأسئلة الفنية التي تصطدم بالقارئ أكثر ما تجذبه وتهز وعيه الجمالي أكثر مما تدغدغ عواطفه".[2]

وبما أنّ السرد قوامه اللغة وركنه الأساسي، فقد ارتبط بها أشد الارتباط، لأنّها هي المكوّن الأوّل لأي عمل سردي، لذلك يقول الناقد والفكر البنيوي **رولان بارت** بأنّ "الأدب ليس سوى لغة".[3]

وفي السرد المعاصر تنوعت التقنيات الدالة علي الافتنان باللغة، فصارت اللغة بمثابة المادة التي يستخدمها الروائيون في التعبير عن مشاعرهم وانفعالاتهم وأفكارهم واقعية كانت أم تخييلية "فالرواية هي بناء لغوي وأي حديث نقدي أو تنظيري يتناول فن الرواية هو حديث يتناول هذا البناء اللغوي ".[4]

فالكلمة أو اللغة هي المادة الأولية التي تعتمد في بناء النص الأدبي، بما في ذلك السردي، باعتبار الرواية شكلا فنيا مميزا يسعي دائما إلى توظيف اللغة القادرة على النهوض بمهمة التوصيل، لأنّ الروائي أميل إلى أن تكون "مهمة الكلمات أن تنهض على حد كبير بدور أداة نقل التجارب والأفكار إلى القارئ خلال العالم القصصي".[5]

لذلك منحت أهمية وعناية للغة حتى صارت الركن الأساسي للبناء السردي في الرواية المعاصرة، هذه الأخيرة ارتقت لغتها من التحليلية إلى الشعرية، باستخدامها أساليب وتقنيات فنية أكسبتها جمالية أدبية وشعرية، وهذا ما أطلق عليه "الشعرية السردية" ،والتي ظهرت حولها العديد من الدراسات النظرية والتطبيقية في منتصف الثاني من القرن العشرين وكثرت في مطلع القرن الواحد والعشرين.

وقبل أن نبحث عن تجليات الشعرية في رواية "الأسود يليق بك" للكاتبة الجزائرية أحلام لابد أن نعرج عن هذه الشعرية السردية وعن جذورها.

إنّ الشعرية من باب شعر، وهو في اللغة " شِعرية وشَعُرَ يشعر شعرا...كلّه: علم وليت شعري، أي ليت علمي، أو ليتي علمت "[6].ومن هذا المعنى سمّى العرب الشعر بهذا الاسم، فالشعر عندهم: " القريض المحدود بعلامات لا يجاوزها، والجمع أشعار وقائلة شاعرٌ؛ لأنه يشعر مالا يشعر به غيره أي يعلم "[7].

أما اصطلاحا فتعد الشعرية من المفاهيم التي شابها الغموض، وخاصة في بيئتنا النقدية العربية كونها من المفاهيم والمصطلحات التي أتتنا من خلال تفاعلنا مع النقد الغربي. وهي التي تبحث عن الخصائص الأدبية في العمل الأدبي (أدبية الأدب)، والقوانين العلمية التي تتحكم في العملية الإبداعية[8].

هذه الشعرية اتخذت من اللغة وسيلة لها، سواء أكان الموضوع الحامل لخصائص الشعرية شعرا أم نثرا، وشملت كل الفنون ذات الأبعاد الزمانية والمكانية، والمتتبع لهذه الخصائص يجد ملامحا مشتركة بين الموضوعات الفنية أو الطبيعة المثيرة لانفعالنا الشعري أو إحساسنا الجمالي[9]. وما يهمنا هنا هو شعرية الفنون التي تتخذ من اللغة وسيلة لها للوصول بها إلى شعرية السرديات.

وقد تبلورت الشعرية حديثا عند النقاد الغربيين من أمثال "تودوروف" و"جاكبسون"، وهناك من يقر أن لها جذور عميقة ترجع إلى العصر الإغريقي عند أرسطو الذي أطلق عليها مصطلح (البويطيقا)، ويوجد رأي آخر يرجع مفهوم وظهور الشعرية إلى العرب القدامى أمثال القرطاجني والجاحظ وعبد القاهر الجرجاني...

ويعد كتاب فن الشعر لأرسطو، النواة الأولى لمصطلح الشعرية، غير أنّ تودوروف يرى أنّ كتاب فن الشعر لأرسطو ليس موضوعه الأدب أو نظريته، وإنّما هو كتاب في التمثيل أو المحاكاة عن طريق الكلام[10].

ويمكن اعتبار تعريف "رومان جاكبسون" للشعرية بمثابة التعريف الشامل والجوهري حيث إنّها: " ذلك الفرع من اللسانيات الذي يعالج الوظيفة الشعرية في علاقتها مع الوظائف الأخرى للغة، وتهم الشعرية –بالمعنى الواسع للكلمة–، بالوظيفة الشعرية لا في الشعر فحسب، حيث تهيمن هذه الوظيفة على الوظائف الأخرى للغة، وإنّما تهتم بها أيضا خارج الشعر"[11].

وبهذا تكون الشعرية هي الدراسة النسقية للأدب كأدب، باحثة عن الخصائص الشعرية العامة المشتركة بين جميع الفنون الإبداعية، من مجازات وانزياحات وتصويرات وأخيلة ، لتكون شعرية السرد هي دراسة الخصائص الشعرية العامة والخصائص الثانوية للرواية.

أما عند العرب فيرى عبد الله الغذامي أنّ مصطلح الشعرية (**Poetics**) هو نتيجة لتوحد الأسلوبية مع الأدبية ليكونا مصطلحا يضمهما ويتجاوزهما بعد ذلك وهو الشعرية.

فالشعرية عنده تتجاوز حدود الشعر لتشمل أنواعا أخرى، ويكمن القول إنّ شعرية السرد هي فرع أو جزء من الشعرية العامة وتطورت بفعل تطور مفهوم السرد الذي توسّع وشمل جلّ الأجناس الأدبية، ومهمتها دراسة السرد لاستنباط مسوغاته الجمالية ككل ولكنها اقتصرت على دراسة السرد التخييلي[12]. فالرواية هي فن العبور حيث تسمح بدخول جميع الأجناس التعبيرية إلى كيانها وتشكل بنيتها من خلال تلك الأجناس، وهذا على مرّ العصور[13].

وبما أننا في حقل الرواية العربية وبالضبط الجزائرية، فهذا يقودنا إلى الحديث عن خصوصية لغتها التي كانت تسلك منحى التجريب والانفتاح عن النّصوص الخارجية من أجل النّمو بهذه اللغة. ومن هنا بدأت الرواية الجزائرية في انتهاج تجربة الكتابة الشاعرية، ويظهر ذلك من خلال الإنجازات الإبداعية الروائية، وخير دليل على ذلك ما أنتجته الروائية أحلام مستغانمي من أعمال إبداعية تميزت بشعرية عالية، فاتحة المجال لما نسميه شعرية الرواية بوصفها تجسيدا لرؤية فنية ،مثل روايتها" الأسود يليق بك" التي نحن بصدد دراستها، ومن مظاهر الشعرية فيها نذكر:

1_ **تحطيم التسلسل الزمني**::(كسر خطية الزمن).

تعد الروائية أحلام مستغانمي من كتاب الرواية الجديدة ومبدعيها الذين عمدوا على كسر الترتيب المنطقي للزمن، إذ لم تعد النصوص الإبداعية الروائية في العصر الحديث تلتزم بالتسلسل التقليدي للزمن (ماضي حاضر مستقبل) بل تجاوزت هذا البناء الكلاسيكي إلى بناء جديد تتماهى فيه الأزمنة فصار "زمن تكثيف وحذف وتقنيات يستخدمها الروائي لتجاوز التسلسل النطقي للزمن الواقعي الموضوعي، إنه زمن مرن، يتحرر فيه الروائي من قيوده، ويتسع ويتقلص".[14]

ورواية "الأسود يليق بك" يقوم الفضاء الزمني فيها علي مجموعة من التقنيات الزمنية التي حملت في طياتها دلالات اجتماعية ونفسية، فتداخل الاسترجاع مع الاستباق في الرواية ليعطي لنا شعرية زمنية.

على طول صفحات الرواية تصور لنا الروائية قصة فتاة جزائرية في العقد العشرين من عمرها تعيش علي ذكريات الماضي وعلى تاريخ العشرية السوداء للجزائر وما خلفته هذه الفترة من دمار نفسي للجزائريين جراء الطغيان وسفك دماء الأبرياء ، فتصور لنا مستغانمي بشاعة هذه الفاجعة التي مازالت راسخة في ذهن البطلة والتي أرغمتها على الرحيل إلى الشام هروبا من هذا الوضع. تقول: "لقد عاشت أمها الفاجعة نفسها في سنة 1982 يوم غادرت وهي صبيّة مع والدتها وإخوتها حماه، لتقيم لدى أخوالها في حلب، ماستطاعوا العيش في بيت ذبح فيه والدهم، وهم مختبئون تحت الأسِرّة سمعوا صوته وهو يستجدي قتلته، ثم شهقة موته وصوت ارتطام جسده بالأرض. عندما غادروا مخابئهم بعد وقت ، كان أرضا وسط بركة دمّ، رأسه شبه مفصول عن جسده ولحيته مخضّبة بدمه".[15]

من خلال هذا المقطع يستطيع القارئ أن يأخذ فكرة عن الحال الاجتماعي لسوريا في تلك الفترة وما شهدته مدينة حلب من أحداث مأساوية.

والقارئ الجيد للرواية والمتتبع لأحداثها الزمنية يلاحظ حدوث خلخلة زمنية للبناء السردي، وفي المقطع السردي السابق نلاحظ أنّ الروائية تسرد لنا زيارة عمة هالة الوافي لها في سوريا بعد قدومها من الجزائر وما أتت به من أشياء، ليتوقف زمن السرد ويعود إلى الوراء مسترجعا ذكريات مضت من حياة البطلة تمكن القارئ من خلالها فهم أحداث الرواية.

والمقاطع الاسترجاعية لرواية "الأسود يليق بك " تتفاوت من حيث مدتها الزمنية، حيث يعود بنا السرد إلى أيام حكم الرئيس بوضياف للجزائر "عندما قامت السلطات بمداهمة الجامعة، وإلقاء القبض على عشرات الإسلاميين، وإرسالهم إلى معتقلات الصحراء بعد أن ضاقت المدن بمساجينها. عندها قرّر علاء أن يترك الجامعة حال تقديمه امتحانات آخر السنة"[16].

هذا المقطع يعود بنا إلى أكثر من عشرين سنة للوراء، وهي فترة تتجاوز بكثير نقطة انطلاق السرد الأصلي وذلك لتحدثها عن ماضي علاء في فترة التسعينات وعن تاريخ الجزائر مع الإرهاب بطريقة سردية حديثة تقوم على كسر خطية الحكي، مما أعطى للبناء الزمني شعرية سردية.

إنّ التتابع المنطقي للأحداث يكاد ينعدم حيث نزعت مستغانمي لمحاولات تجريبية داخل النّص السردي وتجاوز البناء التقليدي للرواية، فبالإضافة إلى الاسترجاع نجد الاستباق له حضور في الرواية، وهو من المفارقات الزمنية التي تدفع بالسرد إلى الأمام، من خلال " القفز على فترة ما من زمن القصة وتجاوز النقطة التي وصلها الاستشراف مستقبل الأحداث والتطلع إلى ما سيحدث من مستجدات"[17].

ومن النماذج التي تضمنتها رواية "الأسود يليق بك" والتي امتزج فيها الاسترجاع بالاستباق نذكر قول الساردة: "كان يعاني من عجز عاطفي يحول دون تسليم قلبه حقًّا لامرأة، ربما لم يشف من خيانة المرأة الأولى في حياته، تلك التي تخلّت عنه لتتزوج غيره، طوال عمره سيشك في صدق النساء، وسيتخلّى عنهنّ خشية أن يتخلّين عنه كشهريار سيقاصصهن عن جريمة لا علم لهنّ بها".[18]

الروائية هنا تعود إلى شريط ذكريات بطل روايتها وعن الخيانة التي تعرض لها لتؤسس رأيها في مستقبله وفقدانه الثقة في النساء وفي صدقهن كما ورد في الاستباق السابق. هذه التقنية الزمنية الأخيرة قد تثير تساؤلات في ذهن القارئ وتخلق لديه أفق التوقع حول إذا كان هذا الاستباق سيتحقق أم لا كما في هذا القول: "سأغادر لندن بحيث أصل قبلك أنتظرك هناك عند مخرج الركاب القادمين...أتمنّى أن تتعرّفي إليّ وسط حشود المسافرين"[19].

المكان :

لا يكتمل معمار الروائي ولا تستقيم أحداث الرواية من دون المكان لأنّه "جزء مهمًّا من الهوية الشخصية والحضارية لشخوص الروايات وأنماطا تفكيرهم وحياتهم، وهذا ما يدل على القيمة الواقعية غير المرئية له"[20]، لذلك عدّ هذا المكون من العناصر الفنية المهمة في بناء الرواية ومكونا أساسيا في الآلة الحكائية، وفي هذا الاتجاه "سارت الشعرية الجديدة للمكان بعد أن تخلصت من عجزها المنهجي والمعرفي...، وأصبحت تنظر إلى الفضاء الروائي نظرة جديدة تغنيه وتغتني به"[21].

وفي رواية "الأسود يليق بك" تتوزع الأحداث عبر نوعين من الأمكنة:

1- مفتوحة وهي: الجزائر والشام (لبنان + سوريا) وباريس.

2- مغلقة: كالبيت.

مثلت " مروانة " المدينة التي ولدت فيها البطلة هالة وعاشت فيها طفولتها، هي مدينة تتميز بطابعها الجبلي وبنضال ناسها وطيبتهم وأصالتهم، "فمن الأوراس انطلقت شرارة التحرير، ما كان للثورة أن تولد إلاّ في تلك الجبال الشاهقات الشامخات، جغرافيتهم هي التي أنجبت التاريخ"[22].

أمّا "قسنطينة" فقد شكّلت مدينة العنف والتطرف، وفيها عاش علاء العنف الإسلاموي عندما كان يدرس في جامعتها "التي كانت ممرًّا إجباريًّا لكل الفتن، ومختبرًا مفتوحًا على كل التطرفات، وبرغم ذلك حاول علاء على مدى أربع سنوات أن يصنع مسافة حذر بينه وبين زملائه"[23] .

إنّ إقامة البطلة هالة في الشام وبالضبط في مدينة حلب يعود إلى جذور والدتها السورية الأصل، كما كانت تتردد على لبنان، لأنّ بيروت مدينة الفن (وهي مدينة البطل طلال أيضا) استغلتها هالة للشهرة، "فهي تزور بيروت ترويجا لألبومها الأوّل وأنّها تقيم في الشام منذ غادرت الجزائر قبل سنة "[24]. كما تعتبر الشام مدينة لبداية القصة الغرامية بين البطلين هالة وطلال التي استطاعت أن تجمع بين قلبيهما ولو عبر الهاتف أو الرسائل، "كتب على بطاقة أرقام هاتفه فحسب، ووصفها في الظرف الصغير المرفق بالباقة نفسها التي اعتاد أن يرسلها إليها، طلب إرسال الباقة مع سائق إلى الشام "[25].

البيت في الرواية كان الملجأ والمأوى لشخصيات الرواية، ومسرحا لأحداثهم، ووسيلة للسعادة، كما حدث بين طلال وهالة عندما عرض عليها أن يشتري لها منزلا "وأمام ترددها في قبول عرضه، أقنعها بأنّ البيت في تصرّفها وحدها، وأنّ ثمة نسخة واحدة من المفاتيح ستكون في حوزتها، وأنّه اشترى البيت لإسعادها، ويعزّ عليه ألاّ تكون أوّل من يقيم فيه "[26]، وبالرغم من ضخامة هذا البيت ذو الطراز العالي والهندسة المعمارية الفخمة إلاّ أنّه "لا يشبه البيت الذي تركته خلفها في الشام، ولا الآخر الذي عاشت فيه في الجزائر، بصالونه الذهبي وإطار لوحاته الذهبيّة وطاولاته الذهبيّة "[27].

هكذا شكل المكان بنوعيه (المفتوح والمغلق) عنصرا فاعلا في المتن الروائي، من خلال تفاعله مع العناصر الفنية الأخرى، حاملا شحونات شعرية في علاقته بالزمن والأحداث والشخصية، ليكتشف القارئ بنفسه خصوصية هذا المكون والصورة الشعرية التي يحملها في طياته، مثله مثل الشخصية في الرواية والتي من خلال تبث الحركة بين ثنايا السرد وتفعيل دينامية الأحداث داخل الفضاء الروائي لدرجة" أنّ بعضهم يأخذها منطلقا للبحث في لغة النص".[28]

إنّ الساردة مستغانمي في روايتها نوعت في بناء الشخصيات بين رئيسة وثانوية، فالرئيسة هي هالة الوافي وطلال هاشم، حيث أغرقت الساردة في الوصف الداخلي والخارجي للبطلين، فهالة هي ابنة السابعة والعشرين تشتهر بارتدائها الفستان الأسود " ليست طويلة .. معطف أنيق دون بهرجة بحزام مربوط على جنب يزيّنه شعرها المنسدل على كتفيها"[29]، أما طلال فهو أكبر منها سناً "رجل خمسينيّ بابتسامة على مشارف الصيف، وبكآبة راقية لم تر لها سببا، وبشعر لم يقربه الشيب بفضل الصبغة "[30].

إلى جانب شخصيات ثانوية أخرى ساهمت في الحدث الروائي ، والتي لا تسع صفحات المقال لذكرها كشخصية: والدة هالة وأخوها وعمها ونجلاء ابنت خالتها ومصطفى وغيرهم من الشخصيات المؤثرة في الفعل السردي، والعاكسة لقدرة الكاتبة الإبداعية والفكرية ونظرتها للمجتمع العربي والجزائري، من خلال ما بدر على لسان بعض الشخصيات .

شعرية اللغة:

لقد أصبحت الرواية العربية من أكثر فنون القول الأكثر رحابة لتجميع أصناف فنية مختلفة، تنوعت بين الديني والشعري والتاريخي والتراثي. هذا الانفتاح أكسبها جرأة على التجديد في مختلف مستوياتهم الشكلية والضمنية، فأصبح الروائي ينجز نصا يحاول فيه" تطعيم هذا النص بلغة الأسطوري واليومي والمشهدي والشعري ومزاوجة الحكائي بالرمزي للخروج بالنص الروائي العربي من الإرهاق الجمالي الذي وصل إليه".[31]

والمتتبع لرواية "الأسود يليق بك" يتجلى له بوضوح ذلك الثراء اللغوي والتنوع الأدبي داخل المتن الروائي، إذ تلجأ مستغانمي إلى عرض أحداث روايتها بأسلوب سلس ورشيق يتخلله الوصف الذي يأتي بلغة تسجيلية مباشرة وأحيانا يأتي بلغة شعرية مرهفة الأحاسيس والمشاعر الجيّاشة ومليئة بالصور البلاغية التي تزيدها شعرية، ومثال ذلك الوصف الذي أعطته الساردة لبطتها "مبتهجة كفراشة وسط حقول الزهور، شهيّة بفرح طازج، له عطر شجرة البرتقال، أزهرت في جنائن الخوف"[32] فهي مثل" وردة لن تخلع عنها عباءة الحياة، ثمّة ورود سيئة السمعة تتحرش بقاطفها تشهر لونها وعطرها".[33] كما تصف الروائية العلاقة الغرامية بين البطلين " كان حبهما ابنا شرعيا لقدر ثمل بتهكم الأضداد".[34]

وعند تشخيص اللغة التي كُتبت بها الرواية نجدها متنوعة بين الفصحى والعامية، فالكاتبة تتوسل إلى إيصال ملفوظها السردي للقارئ بعدة لغات ولهجات، في محاولة منها إضفاء صبغة محلية على نصّها، حيث كانت علاقتها باللغة الفصحى علاقة راقية تحترم قواعد النّحو والصرف، وترقى بالأسلوب سردا وحوارا ووصفا.

وبحكم معايشة مستغانمي للمجتمع الجزائري وترددها على الشام كل هذا كان له تأثير على ثقافتها وأسلوبها وإكساب خطابها شرعية معينة، عن طريق إدراج اللهجة العامية الجزائرية واللهجة الشامية بل وامتدت حتى إلى المصرية، والمقاطع التالية تدل على ذلك.

تقول بالجزائرية:" نصيرة تسّلم عليك بزّاف.. طلبت مني تلفونك واش نعطيهو لها؟ بالمناسبة قالت لي بلّلي مصطفى تزوّج من أستاذة جات جديدة للمدرسة وطلب نقلهم للتدريس في باتنة"[35].

أمّا بالشامية فورد هذا الحوار:

" كيفك حبيبتي..إن شاء وصلتي بخير؟

الحمد لله.. وأنتم كيفكم؟

تمام

وهيدا الأخوت تبع الورد ..كيف طلع؟ إن شاء الله حلو؟

إيه حلو[36].

وبالمصرية تقول على لسان أبطالها:"عرفت القصة دي منين؟ كتبتها الست في مذكّراتها..دي بتنكّت وهي بتحكيها، بتقول: انبسطت قوي يومها.أصل دي كانت أوّل مرّة أغنّي بيها في الريف من غير ما المعازيم يكسّروا الكراسي ...".[37]

بالإضافة إلى اللغة الفصحى والعامية تستند الروائية في عرض أحداثها على الحوار، فكل حدث في الرواية قائم على الحوار بين أبطال القصة، ومن أمثلة ذلك نذكر:

ردّت على استحياء:

الحب ليس ضمن أولويّاتي.

برغم ذلك كل أغاني ألبومك أغان عاطفية؟

ردّت ضاحكة:

في انتظار الحبيب، أغنّي للحب!

أنت إذًا تتحرشين بالحب كي يأتي.

بل أتجاهله كي يجي.[38]

يأتي المشهد الحواري في الرواية مفتعلا بحرارة الخطاب المسرحي كما في المقطع السابق الذي تتجاذبه الإشارات الركحية من ناحية والحوار من ناحية ثانية، فجملة (ردّت على استحياء وردّت ضاحكة) هي إشارات ركحية في المسرح، والقارئ لها يرسم في ذهنه صورة وحالة تلك الشخصية وكأنّه أمام عرض مسرحي، وهنا نقطة التقاء الرواية مع فن المسرح .

كما تلتقي الرواية مع الشعر وبالضبط النشيد الجزائري، من خلال علو صوت النشيد بعد انتهاء البطلة من غنائها يعلو صوت النشيد مرددا:

قسما بالنازلات الماحقات والجبال الشامخات الشاهقات

نحن ثرنا فحياة أو ممات وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر

فاشهدوا فاشهدوا[39]

اشتغلت مستغانمي على زخم أدبي متنوع، حضر فيه المسرح والشعر، وامتزج فيه المحلي والعربي والعالمي والإنساني، مما أسهم في تفجير العلائق السائدة بين المكونات السردية، ضف إلى ذلك أنّ "رواية الأسود يليق بك" قد استفادت من حضور التراث الشعبي كالمصطلحات الشعبية (الزردات، والفريك، الكسكسي، وآلة الغناء القصبة)، والمثل الشعبي الذي يقول:"يا قاتل الروح وين تروح"[40].

والأغنية هي الأخرى حاضرة في نهاية الرواية إذ امتدت على صفحات من السرد جاءت على طريقة الشعر الحر، تقول في مطلعها:

نخيل بغداد يعتذر لك

أيها الراحل باكرًا مع عصافير الوقت

ليس هذا الزمن لك

لم يحدث أن كنت أكثر حياة

كما يوما حللت ضيفا على مدن الموت.[41]

وصفوة القول يمكن أن نقول أنّ اللّغة في الرواية الجديدة تحولت من كونها ناقلة للمحتوى إلى أن صارت مادة الأديب وأداته التي يعبر بها ويعطيها صبغة شعرية وجمالية، لتفتح الرواية من خلال هذه اللغة على نصوص وقراءات متنوعة" فالمكونات الشعرية عندما تتداخل مع البنيات الروائية تصبح لغة هذه الأخيرة هائجة مفاجئة مراوغة، تعج بشهوة الجسد وفوضى الحواس".[42]

إنّ البراعة الفنية للروائية أحلام مستغانمي شكلت جانبا كبيرا في أسرار إحكام النص، من خلال قدرتها على الإمساك بخيوط اللعبة الحكائية والتحكم في أحداث السرد وشخصياتها، وإتقانها صناعة الكلمة الروائية وإعطائها صبغ شعرية، مما بالكتابة الروائية إلى مستوى جمالي برهنت فيه على إذابة الحدود الوهمية بين الأجناس الأدبية، وهذا ما لاحظناه في رواية "الأسود يليق بك".

الهوامش:

1 – شكري عزيز الماضي، أنماط الرواية العربية الجديدة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت ، 2008، ص11.

2 – المرجع نفسه، ص17.

3 – صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت ، 1992، ص42.

4 – عبد القادر بن سالم، بنية الحكاية في النص الروائي المغاربي ، منشورات الاختلاف، دار الأمان ، الرباط ، ط1 ، 2013، ص206.

5 – روجر ب هينكل، قراءة الرواية ، مدخل إلى تقنيات التفسير، تر: صلاح رزق ، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، ط2، ص280.

6– ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، 1995، ص88.

7– المرجع نفسه ، ص89.

8– جون كوهن، بنية اللغة الشعرية، تر: محمّد الولي ومبارك الحنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ص 09.

9– بسام قطوس، استراتيجيات القراءة،التأصيل والإجراء النقدي، دار الكندي، الأردن، ص178.

10- تزيفيتان تودوروف، الشعرية، تر: رجاء سلامة وشكري المخبوت، دار توبقال، المغرب، ط1، ص12.
11- رومان جاكبسون، قضايا الشعرية، تر: مُحَمَّد الولي ومبارك حنون، دار توبقال ، المغرب، ط1، 1988، ص35.
12- مُحَمَّد القاضي ، معجم السرديات، دار مُحَمَّد علي للنشر، تونس، ط1، 2010، ص202.
13- ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، تر:مُحَمَّد برادة، دار الفكر، القاهرة، ط1، 1987 ، ص88.
14 - صلاح فضل ، أدبيات التخييل ، من فتات الأدب والنقد ، الشركة المصرية العالمية ،القاهرة ط1، 1996، ص61.
15 - أحلام مستغانمي ، الأسود يليق بك ، دار نوفل، بيروت ، لبنان، 2012، ص 194.
16 - المرجع نفسه، ص 68.
17 - حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي(الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي ، بيروت، ط1 ، 1990، ص121.
18 - أحلام مستغانمي، الأسود يليق بك، ص145.
19 - المرجع نفسه، ص 55.
20 - أحمد جاسم الحسين، الرواية العربية الجديدة وخصوصية المكان، مجلة جامعة دمشق، ع1+2، 2009، ص 145.
21 - حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 27.
22 - أحلام مستغانمي ، الأسود يليق بك، ص62.
23 - المرجع نفسه، ص 68.
24 - المرجع نفسه، ص 20.
25 - المرجع نفسه، ص 46.
26 - المرجع نفسه، ص 205.
27 - المرجع نفسه، ص 207.
28 - مُحَمَّد علي سلامة، الشخصية الروائية ودورها في المعمار الروائي عند نجيب محفوظ، دار الوفاء ، الإسكندرية، ط1، 2007، ص 11.
29 - أحلام مستغانمي ، الأسود يليق بك ، ص 57.
30 - المرجع نفسه، ص 119
31 - فخري صالح، دراسات في الرواية العربية المعاصرة ، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة ، القاهرة، ط1، 2010، ص 214.
32 - أحلام مستغانمي ، الأسود يليق بك، ص18.
33 - المرجع نفسه، ص 139.
34 - المرجع نفسه، ص 127.
35 - المرجع نفسه، ص 24.
36 - المرجع نفسه، ص 67.
37 - المرجع نفسه، ص 106.
38 - المرجع نفسه، ص 17.
39 - المرجع نفسه، ص 77.
40 - المرجع نفسه، ص 195.
41 - المرجع نفسه، ص 329.
42 - مُحَمَّد سالم مُحَمَّد الأمين الطلبة، مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر، ، دار الانتشار العربي ، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص65.